﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾﴾ [الشعراء: 186]

❁ مُناسَبَةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

حشدُ أدلَّة إبطال الحقِّ نحرٌ لحاشديها

لمّا ذكرتِ الآيةُ السّابقة وصفَ قومِ شعيبٍ عليه السلام له بأنَّه من المسحَّرين، ناسب أن تَذكر الآيةُ اللّاحقة وصفَ قومِه الآخرَ وهو أَنَّهُ بَشَرٌ، قصدًا منهم إبطالَ رسالته؛ لأنَّ البَشَرَ في اعْتِقادِهم لا يَصْلُحونَ لِلرِّسالَةِ مُطْلَقًا، ولَوْ كانوا أَعْقَلَ النّاسِ وأَبْعَدَهُم عَنِ الآفَةِ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مِّثْلُنَا﴾: (مثل) أصلٌ يدلّ على مناظَرَةِ الشّيءِ للشّيءِ[2]، ومنه المَثَلُ، وهو الشَّيْءُ يُضْرَبُ لِلشَّيْءِ فيُجْعَلُ مِثْلَهُ، والمِثْلُ شَبَهُ الشَّيْءِ في المِثالِ والقَدْرِ ونَحْوِهِ، حَتَّى في المَعْنَى، ويُقالُ: ما لِهَذا مَثيلٌ؛ والمِثالُ ما جُعِلَ مِقْدارًا لِغَيْرِهِ[3]، والمقصود بالمثل في الآية ﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾: المماثِلُ للجنس في البشريَّة.

2) ﴿نَّظُنُّكَ﴾: (ظن) أصلٌ يدلّ على ضِدَّين: الشّكُّ واليقين[4]، إلّا أَنَّ الظّنَّ لَيْسَ بيَقينِ عيانٍ، إنَّما هوَ يَقينُ تَدَبُّرٍ؛ فأَمّا يَقينُ العيانِ فلا يُقالُ فيه إلّا عِلْمٌ، والظّنّ يَكونُ اسْمًا ومَصْدَرًا، وجَمعُ الظَّنِّ الَّذي هوَ الاسْمُ ظُنونٌ وأَظانينُ على غَيْرِ القياسِ[5]، والمرادُ بالظّنّ في الآية ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾: الاعتقادُ.

3) ﴿ٱلْكَٰذِبِينَ﴾: (كذب) أصلٌ يدلُّ على نَقْصِ الحِدّة والشدّةِ الجاريَةِ في الشّيء أوِ المتوقَّعةِ منه؛ ومنه الكَذِبُ في القول، إذْ هو

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 89.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (مثل).
(3) الخليل، العين: (مثل).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ظن).
(5) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: (ظنن).

نَقْصٌ بل فقْدٌ للمتوقَّع منَ الكلام، أو لِما وُجد الكلامُ من أَجْلِه؛ وهو التّعبيرُ عن حقيقةِ ما في النّفس[1]، فالكَذِبُ هوَ الإخْبارُ عَنِ الشَّيْءِ بِخِلافِ ما هوَ عليه، سَواءٌ فيه العَمدُ والخَطأُ، ولا واسِطَةَ بَيْنَ الصِّدْقِ والكَذِبِ على مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ؛ والإثْمُ يَتْبَعُ العَمدَ، يُقال: كَذَبَ يَكْذِبُ كَذِبًا، ويَجوزُ التَّخْفيفُ بِكَسْرِ الكافِ وسُكونِ الذّالِ: (كِذْبًا)؛ وأَكْذَبَ نَفْسَهُ وكَذَبَها بِمَعْنَى اعْتَرَفَ بِأَنَّهُ كَذَبَ في قَوْلِهِ السّابِقِ؛ وأَكْذَبْتَ زَيْدًا بِالأَلِفِ: وجَدْتَهُ كاذِبًا؛ وكَذَّبْتَهُ تَكْذيبًا: نَسَبْتَهُ إِلَى الكَذِبِ، أَوْ قُلْتَ لَهُ كَذَبْتَ[2]، ومعنى الكَذِبِ في زَعمِ قومِ شُعَيب عليه السلام ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾: القائلين خلافَ الصِّدقِ في ادّعاء الرّسالة منَ اللّه.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

أُنسُ المكذِّب بالأدلَّة الواهيات

ذكرتِ الآية استمرارَ القَوْمِ في تَكْذيبِ شُعَيْبٍ عليه السلام، ونَفْيِ الأَهْليَّةِ له، مُعَلِّلينَ إِنْكارَهُم - إضافَةً إِلَى ما سَبَقَ من ذكر السِّحرِ - بِأَنَّهُ بَشَرٌ مِثْلُهُم، وأَغْلَبُ الظَّنِّ أَنَّهُ كاذِبٌ، فكَيْفَ يَصْلُحُ أَنْ يَكونَ رَسولًا مِنْ قِبَلِ اللّه؟!.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الوَصْلِ بِالواوِ في قوله: ﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ﴾:

غايةُ المكذِّب تعديدُ الصّفات، بما يَنفي البيّناتِ

جاءَ قولُ اللّه تعالى حكايةً عن مقولَةِ قومِ شُعَيبٍ ﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ مَوْصولًا بِالواوِ، عَطْفًا للجملةِ على سابِقَتِها، لِاتِّفاقِهما في أَنَّ كِلتَيْهِما مَقولُ القَوْلِ؛ فالجملةُ مِنْ تَمامِ كَلامِ المُشْرِكينَ رَدًّا على نَبيِّ اللّه شُعَيْبٍ عليه السلام، فقَدْ قُصِدَ هُنا مَعْنَيانِ، كِلاهما مُنافٍ لِلرِّسالَةِ عِنْدَهُم: التَّسْحيرُ والبَشَريَّةُ، وأَنَّ الرَّسولَ لا يَجوزُ أَنْ يَكونَ

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (كذب).
(2) الفيوميّ، المصباح المنير: (كذب).

مُسَحَّرًا، ولا يَجوزُ أَنْ يَكونَ بَشَرًا؛ وإذا تُرِكَتِ الواو لَم يُقْصَدْ إلّا مَعْنًى واحِدٌ وهوَ كَوْنُهُ مُسَحَّرًا، ثُمَّ قُرِّرَ بِكَوْنِهِ بَشَرًا مِثْلَهُم(1).

توجيهُ المتشابه اللّفظيّ بذكر الواوِ وحذفِها:

تقريرُ المعاني، وتوكيد الأدلَّة أسلوبانِ في جِدال الأقوام لأنبيائهم

الإتْيانُ بِواوِ العَطْفِ في قَوْلِ اللّه تعالى حكايةً عن قوم شُعَيب ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ١٨٥ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ يَجْعَلُ كَوْنَهُ بَشَرًا إبْطالًا ثانيًا لِرِسالَتِه، وتَرْكُ العَطْفِ في قِصَّةِ ثَمودَ في قَوْلِهِ تعالى حكايةً عنهم: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ١٥٣ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ [الشعراء: 153 - 154] يَجْعَلُ كَوْنَهُ بَشَرًا حُجَّةً على أَنَّ ما يَصْدُرُ منه لَيْسَ وحْيًا من اللّه بَلْ هوَ مِنْ تَأْثيرِ كَوْنِهِ مَسْحورًا؛ فمَآلُ مَعْنَى الآيَتَيْنِ مُتَّحِدٌ، ولَكِنَّ طَريقَ إفادَتِهِ مُخْتَلِفٌ، وذَلِكَ على حَسَبِ أُسْلوبِ الحِكايَتَيْنِ(2).

فالكَلامُ نَظيرُ ما تَقَدَّمَ في قِصَّةِ ثَمودَ، بَيْدَ أَنَّهُ أَدْخَلَ الواوَ بَيْنَ الجُمْلَتَيْنِ هُنا، لِلدّلالَةِ على أَنَّ كُلًّا مِنَ التَّسْحيرِ والبَشَريَّةِ مُنافٍ لِلرِّسالَةِ، فكَيْفَ إذا اجْتَمَعا؟! وأرادوا بِذَلِكَ المُبالَغَةَ في التَّكْذيبِ؛ ولَم تَدْخُلْ هُناكَ، حَيْثُ لَم يَقْصِدْ إلّا مَعْنًى واحِدًا وهوَ كَوْنُهُ مُسَحَّرًا، ثُمَّ قُرِّرَ بِكَوْنِهِ بَشَرًا مِثْلَهُم(3).

بَلاغَةُ القَصْرِ في قوله: ﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ﴾:

نَفْيُ النُّبوّة عن البَشَرِ مراوغةُ الأقوامِ لأنبيائهم

في قولِ اللّه تعالى حكايةً عن قوم شُعَيب ﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ قَصَرَ القومُ نَبيَّ اللّه شُعَيْبًا عليه السلام على صِفَةِ البَشَريَّةِ، وهو من قَصْرِ المَوْصوفِ على الصِّفَةِ قَصْرًا إضافيًّا، أَيْ: أَنْتَ بَشَرٌ ولَسْتَ بِمَلَكٍ؛ حَيْثُ يَعْتَقِدونَ أَنَّ النُّبوَّةَ لا يَصْلُحُ لَها إلّا ملَكٌ مِنَ المَلائِكَةِ، والبَشَرُ في عَقيدَتِهِم لا يَصْلُحونَ لِلنُّبوَّةِ، فكَوْنُهُ بَشَرًا، ومَقْصورًا على صِفَةِ

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 333.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 186.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 117.

البَشَريَّة، لا يَتَعدّاها إلَى صِفَةِ المَلَكيَّة: لا يُؤَهِّلُهُ ذَلِكَ لِحَملِ رِسالَةِ السَّماءِ كَما يَعْتَقِدونَ؛ وهَذِهِ طامَّة سائِرِ أَقْوامِ الأَنْبياءِ، وهيَ تَعْكِسُ خَرابَ عُقولِهِم، وضيقَ أُفُقِهِم.

نكتةُ القَصْرِ بِطريقِ النّفي والاستثناء:

إذا تطرَّق الوهمُ ضاقتِ الحقائقُ على الفهم

آثَرَ النُّظُمُ الكَريمُ القَصْرَ بِـ(ما) و﴿إِلَّا﴾ في قَوْلِهِ تعالى حكايةً عن قول المُكَذِّبين: ﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾، بَعدَ القصر بـ﴿إِنَّمَآ﴾ في الجملة السّابقة ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾: تَنْزيلًا لِغَيْرِ المُنْكِرِ - وهوَ شُعَيْبٌ عليه السلام - مَنْزِلَةَ المُنْكِرِ، فهوَ عليه السلام لا يُنْكِرُ بَشَريَّتَهُ، ولَكِنَّهُ، لَمّا دَعاهم إلَى تَوْحيدِ اللّه، وبَلَّغَهُم أَنَّهُ رَسولُ اللّه، ظَنّوا أَنَّهُ بِذَلِكَ يَدَّعي لنفسِه مكانةَ المَلَك، ويُنْكِرُ بَشَريَّتَهُ، حَسْبَما يَعْتَقِدونَ هُم؛ فأَتَوْا بِالقَصْرِ بِطَريقِ النَّفْيِ والاسْتِثناءِ، وهوَ يَأْتي في الغالِبِ في المَقاماتِ الَّتي تَتَطَلَّبُ دَفْعًا لِلإِنْكارِ والجَحْدِ.

دَلالَةُ استعمالِ ضَميرِ المُخاطَبِ في قوله: ﴿أَنتَ﴾:

التَّجَهُّمُ في الخِطابِ ضعفٌ في تفهّمِ الخطاب

جاءَ المسندُ إليه ضَميرًا للمُخاطَبِ ﴿أَنتَ﴾ في خِطابِ المُكَذِّبين لنَبيِّ اللّه شُعَيْبٍ عليه السلام ﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ ليُبْرِزَ وقاحَةَ القَوْمِ وسوءَ أَدَبِهِم في خِطابِ الأَنْبياءِ، ومواجَهَتِه بِالرَّفْضِ الصَّريحِ دونَ مواراةٍ؛ وليَدُلَّ كذلك على اعْتِقادِهِم نُزولَ قَدْرِه عَنْ مَرْتَبَةِ النُّبوَّةِ.

نُكْتَةُ الوصف بالبَشَر، وغَرَضُ تنكيره:

لا يرون في الرسول أكثر من كونه بشرًا لا يتميّز بشيء

جاءَ المُسْنَدُ وهوَ الخَبَرُ بِلَفْظِ البَشَريَّةِ ﴿بَشَرٌ﴾ في الآية ﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾، دون الوصف بالإنسانيَّة ونحوها: ليَدُلَّ على أنَّهم وصفوه بأعمِّ الأوصاف المرتبطة بكونه مخلوقًا آدميًّا؛ وتَنْكيرُهُ لِلتَّحْقيرِ مِنْ شَأْنِه، فهوَ عندهم مُجَرَّدُ بَشَرٍ مِنْ آحادِ النّاسِ.

بَلاغَةُ الكِنايَةِ في الوصف بالبشريّة:

قولُ اللّه تعالى حكايةً عن المُكَذِّبين من قوم شُعَيبٍ ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ كِنايَةٌ عَنْ نفي صِفَةِ النّبوّة؛ لأنَّ البشر لا يكونون أنبياءَ

باعتقادِ قومِ شعيبٍ ﷺ، فهوَ واحِدٌ منهم، لا فرْقَ بَيْنَهُم، ولَوْ أَرادَ اللّهُ إليهِمُ الرّسالةَ لأرسل ملَكًا من الملائكة، ومِن ثَمَّ يَسْتَلْزِمُ ذَلِكَ أَنْ يَكونَ كاذِبًا في ادِّعائِه النُّبوَّةَ كَما يَعْتَقِدونَ؛ ففي هذه الكناية جمعوا بين الدَّعوى ودليلِها.

اجتماعُ الدّعوى الباطلة والدَّليل الصّادق مراوغةٌ في الحقائق

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بِلَفْظِ ﴿مِّثْلُنَا﴾:

جاء استعمالُ لفظِ: ﴿مِّثْلُنَا﴾ في الآية ﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ ليَدُلَّ في زعمِهم على تَساويهم في الدَّرَجَةِ؛ فلَوْ كانَ ثَمَّ نَبيٌّ يَصْلُحُ لِلرِّسالَةِ مِنَ البَشَرِ لَكانوا هُم أَوْلَى بِذَلِكَ منه، وفي هذا اللَّفظ أماراتُ الاعتراض على أن يمتازَ عليهم بشيءٍ، فهو مثلُهم، ولا يفضلُهم بشيءٍ، فلماذا كانت النُّبوّةُ فيه لا فيهم؟ وهذا الاعتراض ديدَنُ الأقوام المكذِّبين، ظنّوا أنَّ التّماثلَ في البشريّة مماثلةٌ في الأخلاق والصّفات، مع علمهم بتفاضلِ النّاس بين وضيعٍ ورَفيع، وكاذبٍ وصادق، وظالمٍ وعادل؛ فاستعملوا أداةً لإثبات صدقهم وقوّة اعتراضهم، وهي تنقض مَقولتَهم، لأنَّ التّماثل في البشريّة هو في أصل الخلق، لا في طبائع الأخلاق، ممّا هو معلومٌ لدى العقلاء.

زعَموا أنّ التّماثلَ في البشريّة يدلُّ على المماثلةِ في الطّبائع والأخلاق

بلاغةُ العطف بالواو في قوله: ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ﴾:

لمّا وصَف قومُ شعيبٍ إيّاه بالعَراقَةِ في السِّحْرِ ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾، وأَنَّهُ لا فرْقَ بَيْنَهُ وبَيْنَهُم ﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ - أَيْ: فلا وجْهَ لِتَخْصيصِكَ عَنّا بالنّبوّة والرّسالة - أَرْدَفوا ذَلِكَ بِعَطْفِ اعْتِقادِهِم كَذِبَهُ في قَوْلِهِم؛ ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ أي: لَمِنَ العَريقينَ في الكَذِب، فأفادت الواوُ العاطفةُ لهذه الجملة على جملةِ إثباتِ البشريَّة: المُبالَغَةَ في نَفْيِ إرْسالِه بِتَعْدادِ ما يُنافيه، فيَكونُ مُرادُهُم أَنَّهُ لَيْسَ لَنا ظَنٌّ يَتَوَجَّهُ إِلَى غَيْرِ الكَذِبِ، وهوَ أَبْلَغُ

يتدرّجُ المنكِرون من الاتّهام الكنائيّ إلى الصَّريح

مِنْ إثْباتِ الظَّنِّ بِهِ[1]؛ فهم جمعوا حُجَّتَين: حجَّةَ البشريَّة - فيما يتوهّمون أنّه حجّةٌ لزعمهم - ثمّ كرّوا عليها الاتّهامَ بالكذب، ليُبالغوا في إثبات مرادِهم.

بلاغةُ القصر في الآية:

مبالغةُ الظّالمين في تكذيبِ الصّادقين استنزالٌ للغضبِ الأليم

(إنْ) في حكايةِ اللّه تعالى قولَ المُكَذِّبين: ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ إمّا أن تكون مُخَفَّفَةً مِنَ الثَّقيلَةِ، واللّامُ في ﴿لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ هي الفارِقَةُ، وإمّا أن تكونَ نافيةً، واللّام للاستثناء؛ وهذان مذهبان مشهوران عند النُّحاة، الأوّل مذهبُ البصريّين، والآخر مذهبُ الكوفيّين، وعليه يُفيد الأسلوبُ القصرَ، إذ هو نفيٌ لكلِّ ما يُظنُّ منَ الصِّفات إلّا صفةَ الكذب؛ وهو قصْرٌ إضافيٌّ، بقصدِ المبالغةِ في التَّكذيب.

نُكْتَةُ حَذْفِ ضَميرِ الشَّأْنِ:

وَهْنُ حُجَّةِ المُكَذِّبِ وضَعْفُ بُرْهانِه

على اعْتِبارِ أَنَّ (إنْ) في الآية ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ مُخَفَّفَةٌ منَ الثَّقيلةِ ولَيْسَتْ نافيَةً، فإنَّ ضميرَ الشّأنِ محذوفٌ، أَيْ: الحالُ والشَّأْنُ أَنَّنا نَظُنُّكَ لَمِنَ الكاذبينَ في دَعْواكَ، وحَذْفُ ضَميرِ الشَّأْنِ أَوِ القِصَّةِ يوحي بِوَهَنِ حُجَجِهِم، وضَعْفِ بَراهينِهِم، وإفْلاسِهِم في مواجَهَةِ خَصْمِهِم؛ إذْ شأنُهم لا يعدو أن يكونَ تكذيبًا لا تحقُّقًا واستدلالًا.

معنى الظَّنِّ ودلالةُ استعمالِه في قولِه: ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ﴾:

الإيماءُ إلى خرابِ العُقولِ وسوءِ التَّقدير

لفظُ الظَّنِّ في قَوْلِه تعالى: ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ بِمَعْنَى اليَقين، وإطْلاقُ الظَّنِّ على اليَقين مَجازٌ، وهوَ إطْلاقٌ شائِعٌ كَما في قَوْلِه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ [البَقَرَة: 46]، أي يوقِنون ذلك، وقَرينَةُ المجاز هنا: دُخولُ اللّام على مَفْعولِ (ظَنّ) الثّاني: ﴿لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾، لأَنَّ أَصْلَها لامُ قَسَمٍ[2]، والقسم يستلزِمُ اليقينَ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 89.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 186.

الجازِمَ، ولا يقوم على الشكِّ الواهِن؛ وإنّما أوثِر التَّعْبيرُ بلَفْظِ الظَّنِّ فيما معناه الاعتقادُ الموقِن: ليَعْكِسَ ما هُم فيه مِنْ تَخَبُّطٍ ووَهْمٍ وارْتياب، وقَدْ يُحْمَلُ الظَّنُّ هنا على حَقيقَتِه، والمَعْنَى أَنَّهُم إنَّما قالوا ذَلِكَ ظَنًّا منهم لا يَقينًا وحَقًّا، فحَياتُهُم ومَصيرُهم مَبْنيٌّ على الظَّنِّ والتَّخْمين؛ وعلى كِلا الاحتمالين فاللّفظُ يوحي بخرابِ عقولِهم، وسوءِ تقديرهم.

دلالةُ التَّعْبيرِ بالجارِّ والمَجْرورِ ﴿لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾:

قـوَّةُ التَّكذيبِ تكشفُ حجمَ الحسدِ

آثرَ النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالجارّ والمَجْرورِ في الآية ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ دونَ أَنْ يُقالَ: (وَإِن نَظُنُّكَ كاذِبًا)؛ للدِّلالَةِ على أَنَّهُ ﷺ مُتَعَمِّدٌ - في زعمِهِمُ الباطلِ - الكَذِبَ، عَريقٌ فيه، حينَ ادّعى الرِّسالَةَ، أو حينَ ادّعى نُزولَ العَذابِ، الَّذي يُشْعِرُ به الأَمرُ بالتَّقْوَى تهديدًا ووعيدًا[1].

معنى (أل) في قوله: ﴿ٱلْكَٰذِبِينَ﴾:

احتمالُ الاستغراقِ والعَهْدِ الذِّهْنيّ

تُفيدُ (أل) في لفظِ ﴿ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ من الآية ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ الاسْتِغْراقَ، والمعنى: العَريقونَ في الكَذِبِ، المُتَأَصِّلونَ فيه، الجامِعونَ لِكُلِّ صِفاتِ المَكْرِ والخِداعِ والتَّدْليسِ - حاشاه من نبيٍّ صادق - ، وقَدْ يدلّ التّعريف بـ(أل) على العَهْدِ الذِّهْنيِّ، أَيْ المَعْهودونَ في الكَذِبِ، المَعْروفونَ بِهِ.

فائِدَةُ حَذْفِ مُتَعَلَّقِ ﴿ٱلْكَٰذِبِينَ﴾:

مقاصدُ العمومِ ملحوظةٌ في نظومِ الكلامِ

حُذِف متعلِّق ﴿ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ من الآية ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾، والتَّقْدير: (لمِنَ الكاذِبينَ في أَنَّكَ رَسولُ اللّه) أَوْ (لمِنَ الكاذِبينَ في دَعْواكَ)، وهذا الحذفُ للدّلالَة على العُموم، ليَشْمَلَ قَوْلُهُم عُمومَ الكَذِبِ في كُلِّ ما يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِه وفِعْلِه ودَعْواه الرِّسالَةَ، ليُجَرِّدوهُ مِنَ الثِّقَةِ والصِّدْقِ، بَلْهَ أنّه عند اللّه صادقٌ مُصَدَّق.

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 339.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

المِثْل والشَّبيه:

الشَبيهُ يَقْتَضي التَّجانُسَ، والمِثْلُ يَقْتَضي التَّكافُؤَ في الذّاتِ

قَلَّما يُسْتَعْمَلُ الشَّبيهُ إلّا في المُتَجانِسَيْنِ، تَقولُ: زَيْدٌ شَبيهُ عَمرٍو، لِأَنَّ بابَ فعيلٍ حُكْمُهُ أَنْ يَكونَ اسْمَ الفاعِلِ الَّذي يَأْتي فِعْلُهُ على فعُلَ مَضْموم العَين، ولا يَأْتي ذَلِكَ في الصِّفاتِ، فإذا قُلْتَ: زَيْدٌ شَبيهُ عَمرٍو فقَدْ بالَغْتَ في تَشْبيهِهِ بِهِ، وأَجْرَيتَهُ مُجْرَى ما ثَبُتَ لِنَفْسِهِ، وإضافَتُهُ إلَيْه إضافَةٌ صَحيحَةٌ؛ أمّا المِثْلانِ فهُما ما تَكافَآ في الذّاتِ[1].

الكَذِبُ والإفْتِراء:

الكَذِبُ مُطْلَقٌ في الفاحِشِ وغيرِهِ، والإفْكُ هوَ الكَذِبُ الفاحِشُ القُبْحِ

الكَذِبُ هوَ الخَبَرُ الَّذي يَكونُ مُخْبَرًا على خِلافِ ما هوَ عليْهِ، ويَصِحُّ اعْتِقادُهُ بِذَلِكَ كما يَصِحُّ عدَمُ الاعتقاد[2]؛ وأَصْلُ الكَذِب في العَرَبيَّةِ التَّقْصيرُ، وسَواءٌ كانَ الكَذِبُ فاحِشَ القُبْحِ أَوْ غَيْرَ فاحِشِ القُبْحِ سُمّيَ كذِبًا، أمّا الإفْكُ فهوَ الكَذِبُ الفاحِشُ القُبْحِ، مِثْلُ الكَذِبِ على اللّه ورَسولِه، أَوْ على القُرْآنِ، ومِثْلُ قَذْفِ المُحْصَنَةِ، وغَيْرِ ذَلِكَ مِمّا يَفْحُشُ قُبْحُهُ؛ وجاءَ في القُرْآنِ على هَذا الوَجْهِ، قالَ اللّه تَعالَى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧﴾ [الجاثية: 7][3].

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 154.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 43.
(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 45.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والثلاثون،
سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 39 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-84-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 39 : المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-84-6
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8468153 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»